دور علماء المذاهب الإسلامية الإيجابيّ والسلبيّ في صدّ الهجمات المتطرّفة

محسن مدني نجاد[1]/ رضا لوني[2]/ مجتبى مدني نجاد[3]

الخلاصة:

لاشك أنه أصبحت الوحدة بين أبناء الأمة الإسلامية من الأمور الضرورية التي لا بديل عنها وهي كالماء والهواء والغذاء لجسد الأمة فإذا انعدم، تنعدم الأمة بأسرها. فأسباب التفرقة أيضاً درست من قبل الكثير من العلماء المهتمّين الذين هم قلقون تجاه مستقبل الأمة ويجتهدون لحل أزماتها. أما برأيي المتواضع من الضروري أن نبحث عن الدور الفريد الذي يلعبه العلماء بأنفسهم تجاه هذه الظاهرة على الصعيد الداخلي والدولي. فنحن في هذه المقالة نسعى أن نشير إلى كلمات أعلام التقريب من الفريقين في مجال تحقيق الوحدة وفي النهاية نشير إلى بعض الكلمات التي لا ترضي إلا اليهود والآمريكان وأذنابهم في المنطقة والعالم، حتي نلفت نظر القارئ الكريم إلى مدى اهتمام علماء الفريقين بهذا الأمر الأهم الذي كان مرمى تأكيد وتركيز القرآن الكريم والنبي الأعظم (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأخيار المنتجبين)

الكلمات الرئيسية: علماء الفريقين، صد الهجمات المتطرّفة، التّطرّف.

---

١. خرّيج مرحلة الدّكتوراه ومدير مجمع الحوار الإسلاميّ بمعهد الدّراسات التّقريبيّة في قم.

٢. باحث إسلامي وطالب في مرحلة الماجستير في فرع الأديان التطبيقية.

٣. باحث إسلامي وطالب في مرحلة الماجستير في فرع العلوم السياسية.

سيرة العلماء حول مسألة التقريب

قبل الخوض فى سيرة العلماء من السنة و الشيعة حول المسألة أحببت أن أذكر البيان الصادر من علماء الشيعة و السنة فى جمهورية ايران الإسلامية بمناسبة الفتنة الطائفية و أبعادها حتى نرى مدى إهتمام العلماء من الفريقين بمسألة التعامل الحسن بين أبناء المذاهب الإسلامية؛ و البيان هو:

«بسم الله الرحمن الرحيم و الصلاة و السلام على محمد و آله و صحبه ... و بعد فإننا مجموعة من علماء أهل السنة و الشيعة في جمهورية ايران الإسلامية و قد وفقنا الله تعالى لحج بيت الله الحرام و هو مهوى أفئدة الموحدين و محور وحدة الأمة الإسلامية و قد بلغنا أن مجموعات ممن ينتسبون إلى اهل العلم من الطرفين قامت بحركات غير اسلامية و راحت تثير الفتنة و البغضاء بين المسلمين و تتنابز بالألقاب و تتهم المسلمين بالتهم الباطلة و تؤلب البعض على البعض الآخر و تكرر المقولات القديمة التى تجاوزتها الأمة الإسلامية و دعا علماءها إلى الوحدة و التقريب و من هنا فإننا نؤكد على ما يلي:

أولاً: إن أتباع المذاهب الإسلامية المعروفة يشكلون بمجموعهم الأمة الإسلامية الواحدة و تتكافأ نفوسهم و تتآلف قلوبهم و يتعاونون لتحقيق الأهداف الإسلامية السامية.

ثانياً: إن إثارة أية فتنة طائفية أو غيرها يخدم أعداء الأمة و يحقق خططهم الماكرة ضدها و يكرس احتلالهم البغيض لأرضها.

ثالثاً: إن جمهورية ايران الإسلامية تعمل على تطبيق الإسلام فى ايران و على تحقيق الوحدة الإسلامية في العالم الإسلامي و ...

حول سيرة قادة التعامل مع أبناء المذاهب الإسلامية و سيرة أتباع الأئمة من علماء الشيعة و الذين تجسد فيهم هذه الظاهرة علينا أن نقول عندما نتقدم زمنياً إلى القرون الأولى نجد

سيرة علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام تنهج نفس الطريقة للأئمة في الموقف التقريبي و الإشارة إلى بعض من هؤلاء يرشدنا إلى معرفة أنهم ماذا بذلوا من الجهود للحفاظ على كيان الأمة الإسلامية؛ لكنهم من الكثرة بحيث لا يمكن استيعابهم جميعا، لهذا السبب إقتصرنا على ذكر الشخصيات التالية:

الف – علماء أهل السنة

لعدم التطويل فى هذا المبحث، نختار من بين الذين ساهموا فى هذا المجال و اجتهدوا و سببوا الكثير من الخيرات فى التعامل الحسن بين أبناء المذاهب الإسلامية أشهر الأشخاص المؤثرين و نقتصر على ذكر أسماء الآخرين وفي الأخير فقط لأجل أن نتعرف على البعض الذين خالفوا هذه الجماعة الكثيرة ننقل كلمات شخصين و نجعل القضاوة في تأييد سلوك كل من هذين المنهجين – منهج التعامل الحسن و منهج التعامل السيء - على القارئ العزيز.

١- الإمام الشيخ محمود شلتوت: يعد من أبرز دعاة التقريب حيث اشتهر بفتواه المعروفة التي وضعت أساسًا متينًا للتآخي بين السنة و الشيعة و رفعت الغشاوة في نظرة كل منهما للآخر. و كان رحمه الله موضوعيًا في تصوراته إلى حد بعيد و يدعو للموضوعية دائمًا.

إنه كان يقول: «فأول شيء على المسلمين وأوجبه على قادتهم و علمائهم أن يتبادلوا الثقافة و المعرفة و أن يقلعوا عن سوء الظن و عن التنابز بالألقاب و التهاجر بالطعن و السباب».

٢- محمد عبده: ولد الشيخ محمد عبده سنة (١٢٦٥هـ - ١٨٤٩م) في طنطا و كان فقيهاً حنفياً علامة في العبادات و المعاملات و عالماً قوياً وأديباً وخبيراً بالسنة و السيرة والتاريخ الإسلامي ودنيا الناس.

كان الشيخ أحد أبرز تلامذة السيد جمال الدين في سيرة الإصلاح والتغيير، والسعي من أجل توحيد صفوف الأمة الإسلامية و معرفة دائها و دوائها لكن طريقة الشيخ تختلف عن أستاذه. كان أسلوبه المتفاوت نتيجة اعتقاده بأن تحقيق أي تغيير سياسي في العالم الإسلامي قبل التغيير الفكري و الثقافي سوف يكون قبل أوانه و مآله الى الفشل. إثر هذا الإعتقاد انطلق من قاعدة التغيير الفكري و الثقافي و التقريب بين المذاهب الإسلامية نحو الإصلاح الشامل.

يقول الشيخ حول التلفيق في أمر القضاء و الإستعانة بالمذاهب الإسلامية: «و إني أحب أن أصرح بأمر ربما يغضب أهل الأثره من أهل العلم الحنفية و هو أننا مسلمون. و ليس الزمن زمن التعصب لمذهب دون مذهب».

في قراءة سريعة في كل ما نشر عنه نلاحظ أن روح الوحدة و الدعوة إلى اتحاد المسلمين و حتى الإتحاد و التعامل الحسن مع غير المسلمين من أبناء الديانة الإبراهيمية كان واضحاً والذي ادى كما في بيروت إلى تأسيس «جمعية التقريب بين الإسلام و أهل الكتاب» مع بعض من رفاقه انطلاقاً من آية: ﴿**قُلْ يا أَهْلَ الْكتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ الاّ نَعْبُدَ الاّ اللّهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضًا أَرْبابًا مِنْ دُونِ اللّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾[1] و توفي الشيخ محمد عبده رحمه الله في جمادي الاولى من سنة (۱۳۲۳هـ).

۳- سيد قطب: يعد سيّد قطب أحد المفكّرين المصريّين و من تلامذة السيّد جمال الدين الأسدآبادي الذي رفع شعار الإسلام و كافح الاستعمار و ضحّى بنفسه ليكون شهيد

۱. آل عمران:٦٤.

الصحوة الإسلاميّة. لقد قدّم خدمات جليلة في سبيل إعلاء كلمة الإسلام و تأسيس الحكومة الإسلاميّة.

يقول الأُستاذ السيّد هادي خسروشاهي - وهو من مترجمي كتب سيّد قطب -: «في عام (١٩٦٩م) تشرّفت بزيارة بيت الله الحرام و أثناء حضوري بمكّة المكرّمة التقيت بالأُستاذ برهان الدين ربّاني فقال لي: عندما ترجم كتاب «الدراسات الإسلاميّة» و «العدالة الإجتماعيّة» لسيّد قطب بقلمكم إلى اللغة الفارسية كان لهما الصدى الكبير بين الطلبة الجامعيّين في أفغانستان.[١] و كان يرى سعى الصهاينة إلى تضعيف عامل العقيدة الإسلامية عند المسلمين و محو الأخلاق في المجتمع الإسلامي، و أن لا يكون الإسلام هو مصدر التشريع في المجتمعات الإسلامية.[٢] يذهب سيّد قطب إلى أنّ الإسلام هو الدين الوحيد الذي بإمكانه إنقاذ المجتمعات البشرية من المشاكل و الأزمات.[٣]

ويعتقد السيّد كذلك أنّ القومية هي الخطر الداهم و الداء العضال للمجتمعات الإسلامية و يرى أنّ فكرة القومية الضيّقة و الظلامية كانت و لا تزال مبدأً هدّاماً داخل منظومتنا الفكرية ... فكرة سبّبت هدر طاقات و قدرات «الوطن الإسلامي الكبير» و فكرة أتاحت للإمبريالية الغربية أن تتغدّى بدولة إسلامية و تتعشّى بأُخرى.[٤]

لهذا السبب سيّد قطب مثل السيد جمال الدين قام بكسر الحواجز و الحدود الجغرافية حيث كان يعتقد أنّ كلّ مكان يتواجد فيه المسلم فهو جزء من الوطن الإسلامي الكبير و أن

---

١. ما چه مي گوييم (ماذا نقول؟)، ص ١٠.(الترجمة الفارسية لكتاب دراسات إسلاميّة).

٢. چرا إعدامم كردند (لماذا أعدموني؟)، ص ٢٢.

٣. عدالت اجتماعي در إسلام (العدالة الاجتماعية في الإسلام)، ص ١٣٠. ؛ معالم في الطريق، ص ٦٠. ؛ المستقبل لهذا الدين، ص ١١٤ ـ و ص ١١٧.

٤. مجلّة «تاريخ فرهنگ معاصر» (تاريخ الثقافة المعاصرة)، ص ٢٧٨.

الهجوم على إحدى البلدان الإسلامية هو هجوم على الإسلام. القومية هي الأداة التي استطاع الغرب من خلالها أن يخدع الشرق المستضعف و الحال أنّ الغرب ما فتئ يذكّر الشعوب الغربية بالصليبية حتّى يستنهضهم من أجل أن يواجهوا الإسلام مواجهة رجل واحد. وقد أدرك الغرب جيّداً أنّه لو قدّر للإسلام أن يحكم يخرج العالم الإسلامي من غفلته و يهبّ للقضاء على الرأسمالية.

و من تأليفات و تراث سيّد قطب: مهمّة الشاعر في الحياة و شعر الجيل الحاضر، التصوير الفنّي في القرآن، طفل في القرية، أشواك، مشاهد القيامة في القرآن، نحو مجتمع إسلامي، معركتنا مع اليهود، سيناء بين أطماع الإستعماريّين و الصهيونيّين، لماذا أعدموني؟ و ...

٤- **الشيخ محمد بخيت المطيعي**: ولد الشيخ محمّد بخيت المطيعي ببلدة «المطيعة» من أعمال مديرية أسيوط سنة (١٢٧١ هـ ـ ١٨٥٦م). إنه كان يعتقد أن ضعف المسلمين و تنازعهم أتاح لأعدائهم فرصة إحياء النعرة الوطنية و النزعة الإقليمية بينهم و إحلالهما محلّ الأخوة الإسلامية، ممّا ترتّب عليه زوال التعاون و التناصر و التعارف.

كان للشيخ في مسألة المشاركة السياسية بصماته منذ شبابه و حتّى الأعوام الأخيرة من عمره و لعلّ تلمذته لجمال الدين الأسد آبادي و ما كان يتحدّث به هذا في مجالسه عن واقع الأمّة و وجوب العمل الجاد لإخراجها من دياجير التخلّف و التسلّط و القهر و التدخّل الأجنبي في شؤونها كان له الأثر في اهتماماته السياسية و مشاركته في النشاط الوطني لحماية الأمّة ممّن يكيدون لها و لا يريدون أن تعيش عزيزة كريمة مستقلّة. و نحن نشاهد عبقرية الشيخ في كتبه: «تنبيه العقول الإنسانية لما في آيات القرآن من العلوم الكونية و العمرانية»، «حقيقة الإسلام و أُصول الحكم» و ...

إنه كان فقيهاً لا يعرف التعصّب المذهبي رغم أنه كان حنفي المذهب و كان يصدّر توقيعه على الفتوى بإمضاء محمّد بخيت المطيعي الحنفي لكنه كان يتسع في الفتوى فيلمّ بآراء المذاهب المختلفة. إنه كان ينهج مسلك الإجتهاد الانتقائي الذي يقتضي الإنفتاح على كلّ المذاهب المعتبرة دون تعصّب لرأي مذهبي خاصّ.

الرجل الداعي الكبير كتب في وجوب احترام الأئمة جميعاً: «إذا تقرّر هذا فمذهب أبي حنيفة و مذهب غيره من الأئمّة سواء و لا يمكن لأحد من المجتهدين أن يعتقد أنّ مذهب غيره خطأ لا يحتمل الصواب و أنّ مذهبه صواب لا يحتمل الخطأ و الاّ لكان مذهب هذا المجتهد بمنزلة كلام المعصوم الذي لا يخطئ و ليس هذا في وسع بشر سوى الرسل عليهم السلام فلا وجه إذاً لتخصيص مذهب و تفضيله على مذهب آخر...».

الشيخ كان يرى سوى هذه المذاهب أيضا داخلاً في هذه الحلقة المفرغة، فقد ردّ على «رينان» في افترائه بأنّ أمة الفرس شيعية و ليسوا بمسلمين: «و الله يعلم و يشهد إنّه لكاذب فيما يقول. أمّا الفرس فمنهم سنّيون و شيعيّون و لكنّهم مسلمون قبل كلّ شي و ها هم علماء الفرس و أئمّتهم قديماً و حديثاً يعتنقون الإسلام و يحجّون بيت الله الحرام ككلّ المسلمين و يصلّون صلاة المسلمين إلى قبلة المسلمين و يصومون كما يصوم المسلمون و هذه كتبهم و مؤلّفاتهم المخطوطة و المطبوعة تملأ البلاد و هي كتب إسلامية أُصولاً و فروعاً».

الشيخ كان يمقت التعصّب المذهبي و يؤمن بالتقريب بين أتباع المذاهب الفقهية و يدعو إلى الوحدة الإسلامية.[1]

٥- الإمام الشيخ عبد المجيد سليم: كان العدد الأول من مجلة «رسالة الإسلام» مزينًا ببيان الشيخ عبد المجيد، البيان الهام الذي يوضح أن مسألة التقريب عميقة الجذور في

[1]. محمد بخيت المطيعي الفقيه الأصولي المفتي، جامعة القاهرة.

تاريخنا و تراثنا فيقول فيه: «و لقد كان أصحاب رسول الله (ص) و التابعون لهم بإحسان و الأئمة عليهم الرضوان يختلفون و يدفع بعضهم حجة بعض و يجادلون عن آرائهم بالتي هي أحسن و يدعون الى سبيل ربهم بالحكمة و الموعظة الحسنة. و لم نسمع أن أحدا منهم رمى غيره بسوء... و لكن المسلمين لم يلبثوا أن انحرفوا عن هذا الطريق و اتخذوا من خلافاتهم عصبيات جامدة لا تعرف التفاهم.»

و هو يعتبر أول من راسل الإمام البروجردي رحمه الله وشكره على دعمه لفكرة التقريب فكان يرد عليه بكل احترام و يعتبره ممن وقفوا أنفسهم لخدمة الأمة. و يروي المرحوم القمي في مذكراته أن المرحوم الشيخ سليم كان يعتزم إصدار نفس الفتوى التي أصدرها شلتوت و قبل عشر سنوات إلا أن الأيدي الخبيثة خلقت زوبعة حول الموضوع و أجلت الصدور. و قد اعتبر الإمام كاشف الغطاء بيان الشيخ سليم فتحًا مبينًا جاء على لسان هذا العالم الكبير المسؤول.

٦- الإمام الشيخ سليم البشري. ٧- الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغي. ٨- الإمام حسن البنا. ٩- الإمام البحاثة الشيخ محمد أبو زهرة. ١٠- الشيخ البحاثة علي الخفيف. ١١- العلامة الشيخ محمد محمد المدني. ١٢- العلامة الشيخ محمد سرور الصبان. ١٣- الإمام الشيخ حسنين محمد مخلوف. ١٤- المجاهد التونسي السيد محيي الدين القليبي. ١٥- الشيخ محمود فياض. ١٦- الإمام أبو الاعلى المودودي. ١٧- الإمام الشيخ محمد الغزالي. ١٨- الأستاذ أحمد أمين. ١٩- الأستاذ الكاتب الكبير عباس محمود العقاد. ٢٠- الأستاذ محمد عبد الله دراز. ٢١- الأستاذ حامد حفني داوود. ٢٢- الاستاذ محمد فكري أبو النصر. ٢٣- العلامة الكبير الشيخ أحمد كفتارو. ٢٤- الدكتور مصطفى الشكعة. ٢٥- الأستاذ سالم البهنساوي. ٢٦- الأستاذ أحمد إبراهيم بك. ٢٧- الأستاذ أنور الجندي. ٢٨- الأستاذ راشد

الغنوشي. ٢٩- الدكتور صبحي الصالح. ٣٠- الأستاذ الشيخ محمد عرفة. ٣١- الاستاذ الشيخ يس سويلم طه (من علماء الازهر). ٣٢- الاستاذ المحقق الموسوعي محمد فريد وجدي. ٣٣- الشيخ عبد المتعال الصعيدي.

ب- علماء الشيعة

١- آية الله البروجردي: ولد آية الله العظمى السيد حسين البروجردي عام (١٢٩٢هـ) في مدينة بروجرد ثم رحل إلى قم و أصبح مرجعًا كبيراً للتقليد. كان صاحب مدرسة في الفقه و رجال الحديث و الحديث. كان السيد البروجردي من رجال التقريب و لذلك انفتح على هموم الأمة: «أحمد الله أن كان لي سهم في التقريب مسألة الخلافة لا جدوى لها للمسلمين اليوم و لا داعي لإثارتها». إنه كان من كبار علماء الشيعة و مرجعهم الأعلى و في طليعة الداعين للتقريب بين المذاهب الإسلامية. يظهر أن السيد قد انفتح في وقت مبكر من حياته على هموم الأمة الإسلامية، لذلك اتجه في مواقفه العلمية و العملية نحو تأليف الأمة و جمعها على كلمة سواء.

و أما على الصعيد العلمي السيد غير مسير الحوار بين أهل السنة و الشيعة نحو ما يمكن أن يتفقوا عليه و إبعاد الحوار عن المسار الذي لا يمكن أن يتفقوا عليه. و هذا يعد من الظواهر الهامة في نشاط السيد البروجردي. على سبيل المثال السيد لم يكن يطرح مسألة «الخلافة» على الإطلاق في جلساته العامة و الخاصة في الدروس و في خارج الدروس. بل سمع بعض تلامذته في جلساته الخاصة يقول: «إن مسألة الخلافة لا جدوى فيها اليوم لحال المسلمين و لا داعي إلى إثارتها و إثارة النزاع حولها. ما الفائدة للمسلمين اليوم أن نطرح مسألة من هو الخليفة الأول؟ ما هو مفيد لحال المسلمين اليوم هو أن نعرف المصادر التي يجب أن نأخذ منها أحكام ديننا».

من هنا كان السيد يؤكد على حديث الثقلين: «إني تارك فيكم الثقلين: الثقل الأكبر، و الثقل الأصغر، فأما الأكبر فكتاب ربي، و أما الأصغر فعترتي أهل بيتي فاحفظوني فيهما- فلن تضلوا ما تمسكتم بهما»[١]. لا يكاد يمر شهر على دروسه دون أن يذكر في مناسبة هذا الحديث.

السيد البروجردي أهدى شيخ الأزهر الراحل عبد المجيد سليم كتاب «المبسوط» للشيخ الطوسي و روي عن الشيخ عبد المجيد في أواخر حياته قوله: «سواء حين كنت مفتيًا لمصر أو حين أصبحت بعد ذلك عضواً في لجنة إفتاء الأزهر، متى ما تصديت لمعالجة مسألة للإفتاء كنت أراجع كتاب «المبسوط». كان هذا الشيخ المبجل من مؤسسي «دار التقريب بين المذاهب الإسلامية» و عضواً في جماعة التقريب.

يمكننا تلخيص منهجه العلمي فى الأمور التالية: ١- دعمه لدار التقريب في القاهرة و التواصل معها. ٢- الإتفاق على ما هو نافع لواقعنا من التراث. ٣- التبادل العلمي بين أهل السنة و الشيعة.[٢]

كان السيد يراقب مسيرة التقريب بكل حذر حتى نقل أنه أوصى بها و هو على فراش الموت. و في كثير من الأحيان كان يشجع الدراسات الفقهية المقارنة، و في مجال الدراسات التاريخية دعا لنقل البحث من المرجعية السياسية الإدارية بعد الرسول (ص) الى المرجعية العلمية. إنه كان بحق في طليعة رواد التقريب.

---

١. تفسير العياشي، ج١، ص ٦.

٢. الوحدة الإسلامية، عناصرها و موانعها، ص ٩٠-٩١.

٢- سيد جمال الدين الأسد آبادي: يعدّ السيّد جمال الدين الأسد آبادي أحد أبرز المفكّرين المسلمين الذين ناهضوا الاستعمار و عملوا على فضح أهدافه و مخطّطاته للأُمة الإسلاميّة. كان رائد الصحوة و اليقظة الإسلامية و دعا إلى الوحدة الإسلامية الشاملة.

كان أهم الأفكار التي أوقف حياته الفكرية عليها، مسألة الوحدة الإسلامية و وجوب اتحاد المسلمين. من أهم معالم فكر السيد جمال الدين هي:١- التمسك بمبادئ الإسلام و الحرص على تحقيق الوحدة الإسلامية. ٢- الكفاح لتحرير الشعوب الإسلامية. ٣- التأكيد على الدعوة و التبليغ تحقيقاً لليقظة الإسلامية. ٤- محاربة الإلحاد و أعداء الإسلام. ٥- الاهتمام بشؤون الأمة الإسلامية. و...

المسلمون واتحادهم هما الوسيلة الناجحة والوحيدة للوقوف بوجه الاستعمار والانتصار على مؤامرات أعداء الإسلام و المسلمين على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم.

السيد وقف أمام فلاسفة الغرب العلمانيين أمثال فولتر (Voltaire) وروسو (Rousseau) فكان يقول: «زعما أن الآداب الإلهية أوهام خرافية كما زعما أن الأديان مخترعات أحدثها نقص العقل الإنساني و جهر كلاهما بانكار الألوهية و رفع كل عقيرته بالتشنيع على الأنبياء؛ فأخذت هذه الأباطيل مأخذها من نفوس الفرنسيين فنبذو الديانة العيسوية و فتحوا على أنفسهم أبواب شريعة الطبيعة. ولقد بذل نابليون الأول جهده في أعادة الديانة المسيحية الى ذلك الشعب استدراكاً لشأنه لكنه لم يستطع محو آثار تلك الأضاليل»[١]. و كان يقول: «و دونك تاريخ الأمة العربية و ماكانت عليه قبل الإسلام من الهمجية حتى

١. الأعمال الكاملة، ص ١٧٧.

جاءها الدين فوحّدها و قوّاها و نوّر عقلها و قوّم أخلاقها و سدّد أحكامها فسادت على العالم»[١].

يقول أعرف الناس به و أقربهم إليه «الشيخ محمد عبده» حول السيد: «لو قلت: إن ما آتاه الله من قوة الذهن و سعة العقل و نفوذ البصيرة هو أقصى ما قدّر لغير الأنبياء لكنت غير مبالغ، فكأنه حقيقة كلية تجلت في كل ذهن بما يلائمه أو قوة روحية قامت لكل نظر بشكل يشاكله. لقد أُتيت من لدنه حكمة أقلب بها القلوب و أعقل العقول... و أعطاني حياة أشارك بها محمداً وإبراهيم و الأولياء و القديسين الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده»[٢].

٣- آل مغنية: يعد آل مغنيّة من الأسر الشهيرة في بيروت التي عرفت بالعلم و الفضل و الأدب. و يعدّ العلاّمة الشيخ عبدالكريم بن محمود بن محمّد بن مهدي العاملي من الوجوه البارزة التي تنتسب إلى هذه الأسرة عرف بالفضل و كان عالماً جليل القدر.

لقد بذل الشيخ محمّد جواد مغنيّة جهوداً حثيثة في سبيل تحكيم الوحدة الإسلامية. حيث كان يستغلّ كلّ فرصة للانفتاح على علماء أهل السنّة و التحاور معهم في خصوص الوحدة و ما هي السبل و الآليات التي تكفل تحقيقها على أرض الواقع. إنه أدرك في وقت مبكّر من عمره الشريف - و ذلك بما أُوتي من عقل و دراية و من خلال دراسته لكتاب الله العزيز و سنّة نبيّه (ص) - ماهية الكيان الصهيوني الخبيثة. و لذا تجده في أغلب كتاباته التي يتحدّث فيها عن الاستكبار و يتهجّم على إسرائيل و يرى في أمريكا المدافع الأوّل عن هذا الكيان المجرم و يعدّه صنيعته.

---

١. نفس المصدر، ص ١٩٧ - ١٩٩.

٢. نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٢٦-٢٤٥.

الشيخ يقول حول إله إسرائيل: «الحديث عن الفلسفة اليهودية و العنصرية الصهيونية يتّسع لأكثر من مجلّد... نكتفي هنا بكلمة موجزة عن إله إسرائيل و حقيقته و مهمّته كما هو في الديانة اليهودية... و تورد التوراة فيما تورد عن هذا الإمتياز في «سفر يشوع، الإصحاح: ٦، فقرة: ٢٤» خطاباً مع بني إسرائيل: «احرقوا المدينة مع كلّ ما بها... إنّما الفضّة و الذهب و آنية النحاس و الحديد اجعلوها في خزانة بيت الربّ».

و يلوم الشيخ باللوم الشديد على المسلمين لضعفهم و عجزهم تجاه إسرائيل و عنجهيتها حيث يقول: «كلّ هذه القدرات و الإمكانات متوفّرة لدى المسلمين و لا أثر للمسلمين على أيّ مستوى يذكر! اللهمّ الاّ مؤتمرات و صرخات لا شي وراءها الاّ الشماتة و الفضيحة! و أيّ عار على العرب و المسلمين أشدّ و أعظم من هوانهم على إسرائيل؟! أبداً كلّما عقدوا مؤتمراً تمادت إسرائيل في الغي و التوسّع و كلّما رفعوا صوتاً استهانت بهم و بكل حق و شرعية، و لا سر إلا الأوضاع الفاسدة السائدة».

و يقول الشيخ عن آمريكا: «اسمع يا هذا! إنّ أميركا ألدّ عدوّ للإسلام و الأمة العربية. أميركا أوجدت إسرائيل و قتلت شعبنا في فلسطين و شرّدته من داره. إنّ دماء أبنائنا ما زالت تنزف في دير ياسين و على أرض فلسطين و أُخوتنا يقتلون بسلاح أميركا الذي تغدقه على إسرائيل... و بعد هذا تدعوني إلى زيارة الأُسطول السادس (روزفلت)!».

٤- **الشيخ الزنجاني**: ولد الشيخ عبدالكريم الزنجاني عام (١٣٠٤ هـ) في بلدة «باروت» من نواحي مدينة زنجان على المشهور. إنّ فكرة الوحدة الإسلاميّة و التقريب بين المذاهب يعنى فكرة التعايش المذهبي السلمي بين المسلمين و الإحترام المتبادل بين اتّجاهاتهم و آرائهم الاجتهادية.

كان رحمه الله يؤمن إيماناً راسخاً بأنّ زمن العصبية المذهبية لابدّ أن يولّي و النفرة الطائفية يجب أن تنجلي غبرتها عن وجه هذه الأمّة، لأنّ اختلاف الأشقّاء لا يمكن أن يدوم أو يطّرد فلابدّ أن يأتي يوم يحقّقون فيه نسبهم إلى أبيهم و ينتمون فيه إلى أصلهم الذي انبثقوا منه و تفرعوا عنه. و لأن تنمو هذه الروح باطّراد فلا بدّ أن يسود الإقتداء و الإحترام بينهم. فينبغي أن يقتدي السنّي بالشيعي ويحترمه والمالكي بالشافعي والحنفي بالإمامي... و بالعكس.

عُرف الشيخ عبدالكريم الزنجاني بميوله الإصلاحية و نزعته العارمة في ترميم البيت الإسلامي من خلال دعوته إلى الوحدة الإسلامية ورغبته في إيجاد الحدّ الممكن من التقريب بين المذاهب الإسلاميّة. و لهذا السبب قام سنة (١٣٥٤ هـ) برحلة واسعة شملت أقطاراً إسلاميةً وعربيةً عديدة، كالهند وقفقاسيا وسوريا ولبنان والأردن ومصر وفلسطين. ويروي السيد محمد الغروي في كتابه «مع كبار علماء النجف» أثناء ترجمته للشيخ: أنّه سمع منه شخصياً هذه القصة التي رواها للشيخ الحجّة محمد الحسين كاشف الغطاء لمّا زاره في بيته عند عودته من رحلته الطويلة تلك. قال: إنّه بعد أن صعد الدكتور طه حسين المنصّة و قبّل يدي أضاف قائلاً: «هذه أول يد قبّلتها و آخر يد».

أشار الشيخ في محاضرة ألقاها الشيخ في مقر رابطة الشباب العربي إلى أن دعاة الإصلاح بذلوا كلّ جهودهم في سبيل الدعوة إلى الوحدة الإسلامية أو التقريب بين المذاهب الإسلامية، لكن كلّ ذلك لم ينتج ثمرةً يعتدّ بها بل نجدها صفراً على الشمال بمقارنتها مع ما قام به المصلحون في سائر الأُمم. و السبب في ذلك أمران:

الأوّل: أنّ الدعاية للاتّحاد في أُمّتنا العربيّة و الإسلامية لاتزال ناقصةً و ... الثاني: دسائس استعماريّة كانت و لاتزال تُحاك حول المصلحين في أمّتنا العربيّة و الإسلامية أفلم يُتّهم الإمام المصلح الشيخ محمد عبده بأنّه ملحد و أنّه صنيع الإنجليز كما اتّهم به الزعيم سعد

زغلول؟... فاتّضح - على ضوء الحقائق المحسوسة - أنّ قضيّة الوحدة الإسلامية خرجت عن طور الدعوة و البرهان و الحجّة و البيان و صارت بحيث تُرى ضرورتها بالعين و تُلمس باليد. و إنّما الأمر المهمّ اليوم و السعي و العمل و الدعوة الجدّية العملية و الاستغناء عن الكتابة و الأقوال بالجهود و الأعمال.»

خلّف رحمه الله ما قارب السبعين مؤلفاً، من أهمها: ذخيرة الصالحين في الفقه، رسالة فتوائية سمّاها طريق النجاة، رسالة مناسك الحجّ، الفقه الأرقى في شرح العروة الوثقى و ...

٥- الإمام الخميني (رضوان الله تعالى عليه): مواقف الإمام الوحدوية أكثر من أن تحصى و هو صاحب المقولة الشهيرة: «ان الذين يفرقون بين السنة و الشيعة ليسوا سنة و لا شيعة». و يقول أيضا: «إن الثورة الإسلامية لم تشهد - بحمد الله - أي خلاف بين السنة و الشيعة ينبغي أن يعيش الكل بحب و أخوّة».

و قد اتسمت مدرسته الفكرية و الفقهية و السياسية بهذه السمة فتربى عليها أتباعه و منهم آية الله الخامنئي القائد الثاني للثورة الإسلامية و هو الذى أمر بإيجاد المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في مطلع سنين قيادته.

لا نريد أن نجعل الوحدة و حسن التعامل مع أبناء المذاهب الإسلامية مجرد شعار لأنه لو تبقى شعاراً فحسب تكون رياءً و نفاقاً. كما ينقل عن الإمام الخميني (ره).[1] و كما يقول الإمام (ره): «الأيدي القذرة التي بثت الفرقة بين الشيعي و السني في العالم الإسلامي لا هي من الشيعة و لا من السنة ... إنها أيدي الاستعمار التى تريد أن تستولي على البلاد الإسلامية،

[1]. مقالة «الإعلام الإسلامي بين التقريب و التمزيق، مقترحات في الإعلام التقريبي»، نقلا عن مجلة المنهاج، العدد ٥٠.

و الدول الإستعمارية هي التي تريد نهب ثرواتنا بوسائل مختلفة و حيل متعددة وهي التي توجد التفرقة باسم التشيع و التسنن»[١].

٦- الشيخ محمد أبو زهرة. ٧- الشيخ المفيد (رض). ٨- تلميذ الشيخ المفيد «السيد مرتضى علم الهدى» (٣٥٤ ـ ٤٣٦ هـ) و أخوه «السيد الرضي» (٣٥٩ ـ ٤٠٦هـ). ٩- الشيخ الطوسي. ١٠- الشيخ أمين الإسلام الطبرسي (توفي ٥٤٨ هـ). ١١- المرحوم العلامة الأمين. ١٢- آل كاشف الغطاء. ١٣- الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين. ١٤- آل الحكيم. ١٥- الإمام السيد أبو القاسم الخوئي. ١٦- العلامة السيد هبة الدين الشهرستاني. ١٧- الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر. ١٨- العلامة الشيخ محمد تقي القمي. ١٩- العلامة السيد محسن الأمين. ٢٠- العلامة الشيخ محمد صالح المازندراني. ٢١- العلامة الشيخ مسلم الحلي. ٢٢- المحامي المفكر توفيق الفكيكي. ٢٣- العلامة الشيخ محمد علي ناصر العاملي. ٢٤- آية الله السيد علي الخامنئي. ٢٦- العلامة المطهري.

كلمة حول المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية

تم تأسيس جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة سنة (١٩٤٩) يعد من آثار دعوة العلماء إلى التقريب، و كان أعضاؤها كبار العلماء. صدر أول عدد من مجلة رسالة الإسلام الناطقة بلسان التقريب في ٣٠ ربيع الأول سنة (١٣٦٨هـ) و استمر صدور رسالة الإسلام من القاهرة. و كان لها أثر طيب في مجتمعات المسلمين. و أوشك صدورها الثاني على الظهور في ظلال دار التقريب في القاهرة.

قامت أول ندوة في الأزهر بكلية الشريعة تحت عنوان «التقريب بين المذاهب الإسلامية» في رمضان (١٣٨٤هـ) الموافق (١٩٦٥م) و صدر عن المجلس الأعلى للشؤون

---

١. الخطبة التي ألقاها في جمادى الأولى عام ١٣٨٤ه. ق.

الإسلامية كتاب دعوة التقريب سنة (١٩٦٤م) و تأسس في طهران «مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية» انطلاقاً من العمل المخلص لوحدة الأمة الإسلامية.

أقامت المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة «ايسيسكو» بالمغرب ندوة حول التقريب بين المذاهب الإسلامية في ٩-١١ ربيع الأول (١٤١٢هـ) الموافق ١٦-١٨ سبتمبر (١٩٩١م) في عهد الرئيس جمال عبد الناصر و في نهاية الستينات اتفق علماء المذاهب الإسلامية على إصدار موسوعة جمال عبد الناصر في الفقه الإسلامي.

صدر منها حتى الآن ٢٨ مجلداً تشمل مذاهب الأباضية و الزيدية و الإمامية و الظاهرية بجانب مذاهب أهل السنة و صار اسمها: موسوعة الفقه الإسلامي. أصدر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة كتاباً تحت عنوان «دعوة التقريب تاريخ و وثائق» سنة (١٤١٢هـ/١٩٩١م)

و على طريق التقريب أقامت الندوة العلمية بكلية الشريعة و الدراسات الإسلامية بجامعة قطر في عهد الدكتور عبد الحميد الأنصاري عميد كلية الشريعة في ٢٢ جمادى الثانية (١٤١٢هـ) الموافق ١٩٩٢/١٢/١٧ ندوة عن الشيعة و السنة و كان الكاتب قدم بحثاً وشارك في هذه الندوة. و على طريق «التقريب بين المذاهب الإسلامية في بيروت» أصدرت دار التقريب إصدارها الأول تحت عنوان «مسألة التقريب بين المذاهب الإسلامية» و كان ذلك في أول عام (١٤١٥هـ).

على أية حال هذا المجمع بذل جهده الكبير و هو مصدر أمل الجيل الواعي من علماء المذاهب الإسلامية ولابد للكل أن يخضعوا أمام الاقتراحات والمشاريع التي يصممها هذا المجمع كي نرتقي في سبيل التآخي والتقريب بين المذاهب الإسلامية و هذا هو سر نجاح الأمة و فشل الأعداء.

المعرقلون في مسيرة التعامل الحسن بين أبناء المذاهب الإسلامية

لا بأس هنا بالإشارة إلى بعض الذين عرقلوا مسيرة التعامل الحسن بين أبناء المذاهب الإسلامية حتى نعرفهم أكثر و يعرفهم الآخرون كي لا نقع في فخهم أو في فخ الذين صنعوا فكرتهم وذاكرتهم تعمل فى الإتجاهات التى يريدونها. و لأننا لا نريد التطويل فى الرسالة و بث ظاهرة الفرقة لا نذكر من هؤلاء الأشخاص إلا شخصين و نكتفي بالقليل من كلماتهما و لابد لهما أن يعرفوا أنهم بواسطة هذه الأعمال خدموا الاستعمار وأمريكا وخاصة إسرائيل خدمة لا مثيل لها و أزعجوا النبى (ص) و الصحابة المنتجبين.

الشيخ ابراهيم الجبهان

كان من علماء الكويت وكتب رسالة إلى شيخ الأزهر الكبير «شيخ شلتوت» حول فتواه المعروفة في عد مذهب التشيع من المذاهب الإسلامية المعتبرة. أساء الشيخ جبهان إليه بأسوء حال و اتبع هواه و اشترى سخط الخالق برضى المخلوق. و لم يكتف بذلك بل أساء إلى مثل الإمام الصادق عليه السلام واتهمه ـ نعوذ بالله ـ بالزندقة و الإلحاد. والذي طالع قليلاً حياة و سيرة الإمام الصادق عليه السلام يعرفه و هو أفضل و أكبر شخصية فى مواجهة آراء الكفرة و الزناديق و الملاحدة. و أذكر قليلاً من كلماته في الرسالة التي أرسلها إلى الإمام شلتوت لنعرف مدى تجاهل المسلمين بالعالم بالنسبة إلى الواقعيات.[1]

الخطاب الموجه لشيخ الجامع الأزهر

«حضرة صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر الشيخ محمود شلتوت المحترم السلام عليك و رحمة الله. فقد بلغني أنكم أذعتم في العام الماضي خطاباً في راديو صوت العرب تعرضون فيه

١. تشيع و وحدت، ص ٤٣ - ٤٥.

الوحدة بين المذاهب الإسلامية و أنكم عنيتم بهذا و أنكم تلقيتم على هذا الاختلاف برقيات شكر و تحية من بعض أساتذة الشيعة في لبنان و غيرها.

أما و الذي أعرفه يا صاحب الفضيلة، إنك رجل بعيد النظر واسع الإطلاع عميق الفكر و لا أعتقد إن عملك هذا يصدر من فضيلتكم على ما تعرفون من ... و إن الاختلاف يا سيدي بين هاتين الطائفتين يبدأ من كلمة التوحيد! وينتهي عند الحدود التي ينتفي كقولهم عن صادقهم الكاذب! «إن حديثنا صعب مستصعب لا يحمله الصدور» أم على طين لازب الذي خلقنا أم على نور أئمة الذي خلق منه أم على لطم خدود ... أم على «حب على حسنة لا تضر معها السيئة» أم «و النظر إلى وجه على عبادة» أم «إن شيعة علي هم الفائزون» أم «إن للجنة أبواب من نجف وكربلاء وقم» أم «إن من زار الحسين في قبره كمن زار الله في عرشه» و ...

ثم يقول: «هذه الطائفة لا تكتفي بزندقتها و الحادها بل تريد أن تجر بقية المسلمين الصادقين إلى حفيرة الصفاصف التي تنبعث العفونات من جوانبها و قد تستدرجك أحابيل دار التقريب الإسلامي و حلزونية الثعلب الماكر – يسيء إلى شيخ محمد تقي القمي- الذي يتسلح بانكار كل ما ينسب إلى الشيعة! و ينسبها بطوائف أخرى قد انشعب عن الإمامية» ثم يقيد أهل بيت النبي (ص) في محمد و زوجاته!

و يقول: «أهل البيت عندنا محمد و زوجاته الطاهرات عليهن جميعاً رضوان الله و رحمة الله و بركاته» ثم يقول حول باقي أهل البيت عليهم السلام: «و من ذريته عندنا من هو موضع شك و احتياط» و نرى أنه يحتاط في عداد أهل البيت عليهم السلام المجمع على شمولهم في عترة النبى (ص) و لا يحتاط في نسبة الإلحاد و الزندقة إلى حفدة النبي (ص) مثل الإمام الصادق عليه السلام و يوجب لعنه و مقته![1]

---

[1]. مجلة راية الإسلام، شماره پنجم.

الثانی: ناصر بن عبدالله بن علي القفاري[1]

إنه يقول فی کتابه «أصول مذهب الشيعة الإثني عشرية عرض و نقد» في المبحث الأول في باب العقيدة في «توحيد الالوهية»: «... هل حافظت الشيعة على هذا الأصل الأصيل و الركن المتين أم أنّ اعتقادهم في الأئمة قد أثّر على عقيدتها في توحيد الله سبحانه، ثم يقول في المبحث الثاني: «اعتقادهم أن اصل قبول الأعمال هو الإيمان بإمامة الأئمة الإثني عشر و ولايتهم و ليس توحيد الله عز وجل» و يذكر فی المبحث الثالث: «اعتقادهم أن الأئمة هم الواسطة بين الله و الخلق و ساروا يعبدونهم و يدعونهم رغباً ورهباً».

وفي المبحث السابع يذكر: «استخارتهم بما يشبه رقاع الجاهليه» ثم يواصل: «هذه مباديء جديدة ابتدأها شيوخ السوء من الرافضة و قد اتفق المسلمون على أنه لا يشرع الاصطلام و التقبيل إلا للركنين اليمانيين فالحجر الأسود ... و أما غير ذلك فلا يشرع استلامه و لا تقبيله كجوانب البيت .... و الصخرة و الهجرة النبوية و سائر قبور الأنبياء الصالحين».

ثم ينقل عن كتب الشيعة: «قالت كتب الشيعة: إن الناس ارتدوا بعد وفاة الرسول إلا ثلاثة و قالت أيضاً: ارتد الناس بعد قتل الحسين إلا ثلاثة: أبو خالد الكابلي و يحيى وجبير بن مطعم، فأنت ترى إن هذا النص لا يستثنى أحداً من أهل البيت عليهم السلام ولا الحسن ابن علي عليه السلام»! بعد نقل كل هذه الكلمات نستطيع أن نقول نعوذ بالله العظيم عن أن يبتلينا بهوى أنفسنا و الوساوس الشيطانية.

بعد نقل كل هذه القضايا و سير العلماء نستطيع أن ننتج: أنه لو نسعى لانتشار كلمات و سير العلماء الذين سعوا لإعلاء كلمة التوحيد و الشمل بين المسلمين، سوف يرى العالم الإسلامی تقدماً ملحوظاً نحو الرقي والسعادة ولا بد لنا أن نعرف للمسلمين الذين ينصرون أعداء الإسلام بكلماتهم و سلوكهم حتى لا يقعوا في فخهم.

---

١. كتاب «اصول مذهب الشيعة الإثني عشرية عرض و نقد».

المصادر

١. القرآن الكريم.

٢. الشيخ واعظ زاده الخراساني، الوحدة الإسلامية، عناصرها و موانعها، موقع ايران والعرب.

٣. محمد بخيت المطيعي الفقيه الأصولي المفتي، جامعة القاهرة.

٤. العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.

٥. سيد قطب، لماذا أعدموني، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، ١٩٩٠م.

٦. .....، العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشروق، ٢٠٠٦ م.

٧. .....، معالم في الطريق، دار الشروق، ١٩٧٩ م.

٨. .....، المستقبل لهذا الدين، دار الشروق، ٢٠٠٥ م.

٩. عبد الرحمن الكواكبي، الأعمال الكاملة، دار الشروق، ٢٠٠٧ م.

١٠. القفاري، ناصر، اصول مذهب الشيعة الإثني عشرية عرض و نقد، ١٤١٥ق.

١١. مجلة المنهاج، العدد ٥٠، صيف: ١٤٢٩.

١٢. مجلة راية الإسلام، العدد الخامس، الرياض.

١٣. مجلّة «تاريخ فرهنگ معاصر» ١٣٧١ش.